الممارسات السياسية لوصفي التل

ناجي علوش

سقط وصفي التل ، رئيس وزراء الاردن ووزير دفاعه ، قتيلا يوم ٧١/١١/٢٨ ، برصاص مجموعة من أفراد الثورة الفلسطينية . وكان هذا مفاجأة لكثيرين ، حتى من الذين أثلج قلوبهم مصرعه ، كما كان مفاجأة لوصفي التل ذاته ، الذي كان يردد دائما ، حين يجري الحديث عن التنظيمات السرية، وعن التحسب من اقدامها على القتل والاغتيال : « ابشر بطول سلامة يا مربع » . ومما يدل على أنه لم يكن يتوقع ان يلقى مصرعه في هذا الوقت بالذات سفره الى القاهرة ومشاركته في مؤتمر وزراء الدفاع العرب ، مع انه يعلم بحقيقة موقف مصر الرسمي منه ، كما يعلم ما جنته يداه في الاردن . ولكنه ، مع ذلك ، كان يريد ان يستفيد من المؤتمر في تعزيز مواقعه داخل الاردن ، بانهاء العزلة المضروبة عليه عربيا ، وباخراج الاردن من دوامة العزلة التي يعيشها ، بعد مجازر جرش وعجلون ضد آخر مواقع المقاومة في الاردن . وكانت هذه المكاسب تستحق ان يغامر من اجلها .

ومع هذا فانه لم يكن يرى في الموضوع مغامرة للاسباب التالية : ١ ــ لانه كان يعتقد ان المقاومة الفلسطينية قد انتهت الى الابد ، وان بقاياها و« قياداتها » أعجز من ان تقوم بعملية من هذا النوع . ولهذا كان يتحدى دائما . ٢ ــ لانه كان يظن ان مثل هذه العملية قد يتم في اي مكان الا في القاهرة ، بسبب احتياطات الامن المتوافرة في القاهرة من جهة ، وبسبب حرص الطرف المعني ، اي المقاومة ، على عدم استثارة القاهرة بعملية من هذا القبيل . ٣ ــ لانه كان لا يفكر بضحاياه بل « بانتصاراته » ، وبالتالي فان كل حساباته انحصرت في القشرة ، ولم تغص الى الاعماق .

ولان حساباته جاءت كلها مغلوطة فقد سقط صريعا. سقط في الوقت الذي كان يعد نفسه فيه لان يصبح قائدا على الصعيد العربي ، وفي الوقت الذي كان يسعى فيه لتصفية ذيول سنة من المجازر ، باعادة المياه الى مجاريها بين الاردن والدول العربية . ولقد كان « حساب السرايا غير حساب القرايا » في هذه المرة ، كما يقول المثل الشعبي ، وكما هو دائما . وانتهى وصفي وتحطم غروره على صخرة الجماهير الصلبة .

وتمثل قصة سفره الى القاهرة وأهدافه من السفر شخصيته برمتها . وهي صورة عن رحلة حياته كلها ، انها تكشف طموحه كما تكشف غروره واستهتاره ، تكشف طريقته في التفكير واساليبه في العمل .

عوامل تكوين شخصيته : ولد وصفي في قرية الصريح سنة ١٩٢٠ . وترعرع وسط الصراع في الاردن ما بين الحركة الوطنية الاردنية والسلطة الهاشمية (١٩٢١ ــ ١٩٤١) . في هذه الفترة وطد الانجليز دعائم الامارة ، انشأوا لها جيشا ، وفرضوا سيطرتها على البلاد . ولكنهم قابلوا من اجل ذلك بضرب الحركة الوطنية ضربات قوية ، ومنها القضاء على انتفاضة العشرين من آب سنة ١٩٢٣ التي قادها سلطان باشا العدوان(١).

وكان مصطفى التل والد وصفي يعيش وسط هذه الدوامة ، فهو يوما ينتقد « العرش الكرتوني » ، ويوما يصبح متصرفا ، ويوما يدخل السجن . وهو خلال هذا كله يتنقل بين الخمارة ومضارب النور . ولمصطفى التل في هذا كله شعر جميل . ولقد عاش وصفي مع ابيه حياته هذه ، ذهب معه الى مضارب النور ، ودخل معه السجن ، وعرف معه ساعات تسنم المناصب .

ولما كان الاب ناقما غاضبا لا ترضيه المناصب العالية ولا تسكت لسانه المكاسب الذاتية عاش هو